الجامعة الإسلامية العالمية بماليزيا

مَجلة الدِّراسَاتِ اللغويَّةِ وَالأدَبيَّةِ

مجلة تخصصية نصف سنوية محكمة تصدر عن
قسم اللغة العربية وآدابها
الجامعة الإسلامية العالمية بماليزيا

السنة الأولى — العدد الثاني — ٢٠١٠م

مجلة الدِّراسات اللغويّة والأدبيّة

Vol. 1 – No. 2 - 2010

International Islamic University Malaysia

Journal of Linguistic and Literary studies

A biannual peer-reviewed Arabic journal
Department of Arabic Language and Literature
International Islamic University Malaysia

ISSN: 2180-1665

Vol. 1 – No. 2 - 2010

لهجة ثمودبين الحقيقة والوهم

محسن هاشم درويش *

ملخص البحث

هذا بحث وصفي في لهجة من اللهجات العربية الشمالية البائدة، وهي لهجة ثمود، وقد قدَّمتُ للموضوع بتمهيد عن ذكر هذه القبيلة في القرآن الكريم وإثبات عربيتها به، ثم التوسع قليلاً في موضوع الكتابات الثمودية عبر بعض نقوشها المكتشفة في شبه الجزيرة العربية؛ لأنها – في رأيي- مفتاح لمعرفة قواعد هذه اللهجة من نحو وصرف وفهمها، ثم معرفة قربها أو بعدها من عربيتنا الباقية، أو سائر اللهجات العربية البائدة، وما إلى ذلك من مظاهر التطور اللغوي التاريخي الذي يكشف عن حلقة مهمة من تاريخ لغتنا العربية المباركة، في كل المستويات اللغوية المعروفة صوتياً وبنيوياً وتركيبياً ودلالياً. واقتضى البحث أن أُعرج عبر ذلك على القلم الذي كتب بها الثموديون آثارهم التي وصلت إلينا، وصولاً إلى بحث قواعد هذه اللهجة وما قيل فيها. وقد حاول الباحث أن يجيب عن السؤال الأهم: هل يمكن أن نعتمد على مثل النقوش التي نسبت إلى ثمود في دراسة تاريخ اللغة العربية وخصائصها؟

مقدمة

هذا بحث في لهجة من اللهجات العربية الشمالية البائدة، وهي لهجة ثمود، وقد رأيت أن أقدِّم للموضوع بتمهيد عن ذكر هذه القبيلة في القرآن الكريم وإثبات عربيتها به، ثم التوسع قليلاً في موضوع الكتابات الثمودية ونقوشها المكتشفة؛ لأنها – في رأيي- مفتاح لمعرفة قواعد هذه اللهجة من نحو وصرف وفهمها، ثم معرفة قربها أو بعدها من عربيتنا الباقية،

* أستاذ مساعد، قسم اللغة العربية وآدابها، كلية الآداب – جامعة حائل، السعودية.

أو سائر اللهجات العربية البائدة. واقتضى البحث أن أُعرج خلال ذلك على القلم الذي كتب به الثموديون آثارهم التي وصلت إلينا، وصولاً إلى بحث قواعد هذه اللهجة وما قيل فيها، على أني عوّلت كثيراً في مبحث (قواعد اللهجة الثمودية) على كتاب الدكتور جواد علي (تاريخ العرب قبل الإسلام)؛ لأنه فرد في بابه، محيط في استيعابه، نقل إلينا مقولات كثير من المستشرقين الذين اهتموا وبحثوا ونقبوا في هذا الموضوع وتولَّوْا كبره، وكانت كتبهم باللغات الأجنبية، فقدمها إلينا مترجمةً، لذلك فالتعويل عليه في هذا المبحث وعلى كتاب إسرائيل ولفنسون (تاريخ اللغات السامية).

شجرة اللغات السامية (الجزرية)

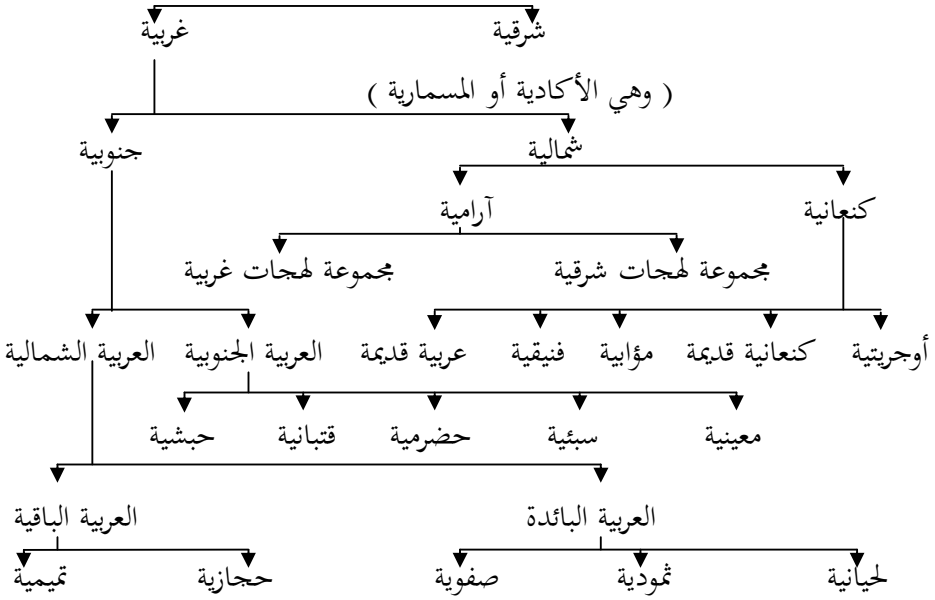

ثمود في القرآن:

آيات كثيرة ورد فيها ذكر ثمود على سبيل الحكاية، والعظة والاعتبار بمصيرهم الذي آلوا إليه، بسبب تكذيبهم نبي الله صالح عليه السلام، وصدهم عن سبيل الله، واستحبابهم العمى على الهدى .

الذي يعنينا من هذه النصوص القرآنية في هذه الورقات هو ما قد يفيدنا ولو بإشارة يسيرة بما يتصل بمساكن هذه القبيلة العربية وما إلى ذلك، مما يعزز كلامنا عليها، يقول الباري جل وعلا:**"**وإلى ثمود أخاهم صالحاً قال يا قومِ اعبدوا الله ما لكم من إله غيره قد جاءتكم بينة من ربكم هذه ناقة الله لكم ءاية فذروها تأكل في أرض الله ولا تمسوها بسوء فيأخذكم عذاب أليم**"**، وقوله تعالى: **"**واذكروا إذ جعلكم خلفاء من بعد عاد وبوأكم في الأرض تتخذون من سهولها قصوراً وتنحتون الجبال بيوتاً فاذكروا ءالاء الله ولا تعثوا في الأرض مفسدين**"**.[1]

ويقول سبحانه في موضع آخر : **"وأما ثمود فهديناهم فاستحبوا العمى على الهدى فأخذتهم صاعقة العذاب الهون بما كانوا يكسبون ۝ ونجينا الذين ءامنوا وكانوا يتقون".**[2] **وقال في موضع آخر :"وأنه أهلك عاداً الأُولى ۝ وثمود فما أبقى"،**[3] **وقال جل من قائل قارناً ثمود بعاد:"كذبت ثمودُ وعادٌ بالقارعة۝فأما ثمود فأهلكوا بالطاغية ۝وأما عادٌ فأهلكوا بريح صرصر عاتية ۝سخرها عليهم سبع ليال وثمانية أيام حسوما فترى القوم فيها صرعى كأنهم أعجاز نخل خاوية ۝ فهل ترى لهم من باقية".**[4]

عبر النصوص القرآنية السابقة فإنني أستطيع أن أُسجل بعض الملاحظات التي تفيد في موضوع لهجة ثمود وهذه الملاحظات على سبيل الإجمال هي:

1- أن ثمود قبيلة عربية بدليل أن النبي المرسل إليهم كان اسمه (صالح) عليه السلام، وهذا اسم عربي صميم، أضف إلى ذلك أن الإمام الكسائي (ت 189هـ) قرأ بخفض الدال مع التنوين في لفظ (ثمودٍ) من قوله تعالى: "ألا بُعداً لثمود".[5] ومعنى هذا أن الكسائي قد قرأ بصرف لفظ (ثمود) وهي إشارة إلى عربية هذا الاسم صراحةً، وحجة صرف (ثمود) من وجهين:

الأول: أن يُجعل اسماً مذكراً لحيٍّ أو رئيس،[6] "فلا علة تمنع في صرفه، إذ الصرف أصل الأسماء كلها".[7]

الثاني: أن يُجعل على وزن (فَعُول) من (الثَّمَد) وهو الماء القليل.[8] على أنّ الوجه الأول أوجه، يقول أبو جعفر النحاس (ت 338هـ): "الأجود عند سيبويه فيما لم يُقل فيه: بنو فلان، الصرف، نحو: قريش وثقيف، وما أشبههما، وكذا (ثمود)، والعلة في ذلك أنه لما كان التذكير الأصل، وكان يقع له مذكر ومؤنث كان الأصل والأخف أولى، والتأنيث جيد بالغ حسن، وأنشد سيبويه في التأنيث:

غلب المساميحَ الوليدُ سماحةً

وكفى قريشَ المعضلاتِ وسادها".[9]

2- وبناءً على ما سبق من إثبات عربية (ثمود) ، فإن مساكنهم لا بد في مساكن العرب وجزيرة العرب تحديداً !

3- وعبر بعض النصوص القرآنية التي أشارت إلى وصف مساكنهم بأنها منحوتة في الجبال دلالة على أنهم كانوا يقطنون مناطق جبلية صخرية "وتنحتون الجبال بيوتا" .

هذه بعض الملاحظات التي يبدو لي أنني سأفيد منها في بحثي عن لهجة ثمود، ومن هنا أبدأ.

موطن ثمود:

بادئ ذي بدء لا بد من الإشارة إلى أنّ العرب في الجاهلية قد عرفوا ثمود وما كان من أمرها، وآثار مساكنها، وفي القرآن الكريم ما يؤكد ذلك حيث يقول الحق سبحانه وتعالى مخاطباً العرب مذكّراً منبّهاً:**"وعاداً وثمود وقد تبيّن لكم من مساكنهم وزيّن لهم الشيطان أعمالهم فصدهم عن السبيل وكانوا مستبصرين"**.[10]

ويذكر المفسرون في قوله تعالى :**"وثمود الذين جابوا الصخر بالواد"**[11] أن معنى (جابوا الصخر) قطعوا صخر الجبال واتخذوا فيها بيوتا، وأن (الواد) هو وادي القرى. فتكون مواضع ثمود في هذه الأماكن. وقد عيّن أكثر الرواة (الحجر) على أنه ديار ثمود، وهو قرية بوادي القرى. وقد زارها بعض الجغرافيين وعلماء البلدان والسياح، وذكروا أن بها بئراً تسمى بئر (ثمود).[12] وينسب النسابون ثمود إلى (ثمود بن جاثر أو كاثر بن إرم بن سام بن نوح).[13]

ويظهر من جغرافية (بطليموس)، أن ديار ثمود كانت غير بعيدة عن ديار (عاد)، وكلها في أعالي الحجاز في هذه المنطقة الجبلية التي تخترقها الطرق التجارية التي توصل الشام ومصر بالحجاز واليمن. وفي هذا تأييد للروايات العربية القائلة إن ديار ثمود كانت على مقربة من ديار عاد. فإذا كانت (الحجر) وما والاها هي مواطن ثمود وجب أن تكون ديار (عاد) على مقربة من هذه المواضع.[14]وقد كان الثموديون يقطنون بعد الميلاد في مواطنهم المذكورة في أعالي الحجاز في (دومة الجندل) و (الحجر) وفي غرب (تيماء).[15]

الكتابات الثموديَّة:

عثر الباحثون على كتابات ثمودية يعود تاريخها إلى ما بعد الميلاد، وهي بالجملة في أُمور شخصية، لا تفيد المؤرخ الذي يريد تدوين تأريخ (ثمود) فائدة كبيرة، ولكنها قد تفيد اللغوي في موضوع اللهجة الثمودية واللغات الجزرية بصفة عامة.

والكتابات الثمودية في نظر الباحثين نوعان:

1- كتابات قديمة دُونت بالقلم الثمودي القديم.

2- كتابات حديثة كُتبت بقلم ثمودي متطور يختلف نسبياً في بعض الأشكال والحروف عن القلم القديم.

كما أن القلم الثمودي ذو صلة بقلم (طور سيناء) والقلم المسند، وقد لاحظ الباحثون وجود بعض الخواص في الكتابات الثمودية التي عثر عليها في الحجاز غير موجودة في كتابات ثمودية عثر عليها في نجد واليمن، وسبب ذلك يعود إلى تأثير البيئات في الثموديين الذين تأثروا – لا ريب – بلهجات جيرانهم وبثقافاتهم، فظهر ذلك في كتاباتهم.

وتدل الكتابات والنقوش الثمودية على أن قوم ثمود كانوا زراعاً وأصحاب ماشية، وأنهم أقرب إلى الحضر منهم إلى أهل الوبر، فمستوطناتهم ثابتة ومعابدهم كذلك، وبينهم قوم اشتغلوا بالتجارة.[16]

والنقوش الثمودية بصفة عامة موجزة جداً حتى ليكاد المعنى يخفى على القارئ خفاءً تاماً، أو يصبح عرضة لتفاسير وتأويلات شتى.

ويظهر أنّ قوم ثمود كانوا ينفرون من الكتابة ولم يكونوا يستعملونها إلا عند الحاجة الشديدة، وهي على غموضها هذا عربية وقريبة من الأسلوب العربي الذي كان مستعملاً في عصر ظهور الإسلام أكثر من غيرها. ومنها يقف الباحث على أسماء الأصنام والأعلام، وعلى جملة من التقاليد في الأحوال الدينية والاجتماعية.[17]

ويرى عبد الرحمن الأنصاري أن ما يسمى بالخط الثمودي، ليس إلا مخربشات من خطوط البادية، قلد فيها أصحابها خط المسند، فيقول: "أطلق العلماءعلى بعض المخربشات الموجودة في منطقة (العُلا) ومدائن صالح، والمنتشرة في معظم أنحاء الجزيرة: اسم الخط الثمودي، ولكن الذي أعتقده أنه إنما هو خط البادية. ماذا أقصد بخط البادية؟ أقصد أن هذه القبائل المتموجة في الجزيرة العربية كانت تذهب إلى ديدان والحجر، وترى هذه الخطوط الجميلة، ثم تحاول تقليدها عندما تعود إلى مضاربها. وهذا ما كنا نشاهده... فالكلمات

الثمودية نوع من كتابات البادية، ولذا لا نجد فيها معلومات تاريخية قيمة، إنما هي عبارة عن: فلان بن فلان نزل في هذا المكان، أو: فلان بن فلان اشترى جملاً من فلان، كتابات لا يمكن أن تعطي حقائق تاريخية واضحة، ذات حوادث أو ذات طابع حضاري. وقد عانى المستشرقون في قراءتها كثيراً، وغاية ما وقفوا عليه، بعد هذا العناء، قراءة بعض الأعلام، ومنها أسماء الأشخاص أو الآلهة أو الأماكن، في معرض الدعاء أو الوقف أو نحو ذلك، وقلما قرؤوا نقشاً فيه فائدة تاريخية صريحة.[18]

وهنا لا بد من ملاحظة أنّ هذه النقوش لا تصلح وغير كافية لدراسة تاريخ اللغة العربية؛ لأنها نصوص ضحلة لا تقنع الباحث لتلقي ضوءاً كاشفاً على حال اللغة العربية، في تلك العهود، فهي في مجموعها لا تكاد تعادل سفراً صغيراً، من أسفار العهد القديم، هذا إلى أنّ كثيراً من كلماتها عبارة عن أعلام لأشخاص، ولا تكاد تجدي مثل هذه الأعلام في البحث اللغوي، وفوق هذا وذاك تعرضت هذه النقوش لأُمور متشابهة، كتسجيل تاريخ كنيسة أو قبر، مما جعل كثيراً من عباراتها وألفاظها يتكرر، ويجعل نصوصها قليلة القدر، لا تكفي في بحث لغوي جدِّيّ.[19]

ويقول إسرائيل ولفنسون مصرحاً برأيه في تلك النقوش الثمودية والصفوية: "ونريد الآن أن نصرح برأينا إجمالاً في هذه النقوش، لا شك أن أصحاب النقوش الثمودية والصفوية من العرب أو هم أقوام لهم اتصال متين بلغة العرب، ولكن العناصر الأعجمية الكثيرة البارزة فيها شوهتها وحرّفتها كثيراً إلى أن محت منها شيئاً غير قليل من الروح العربية والأسلوب العربي".[20] إلى أن يقول: "على أن النقوش الثمودية التي كشفت في أرض عربية أقرب إلى الأُسلوب العربي وإلى أسماء الأعلام المألوفة في الجاهلية العربية أكثر من النقوش الصفوية".[21]

ويصل ا.ولفنسون في نهاية بحثه عن اللهجات العربية البائدة إلى القول: "ومن حيث إننا لم نعثر إلى الآن على نقوش في مراكز بلاد الحجاز الأصلية مثل: الطائف ومكة ويثرب، فإننا أمام أمرين: إما أن نحتمل أن العرب لم يتركوا آثاراً منقوشة قبل ظهور الإسلام، وإما أن أوان

كشف هذه الآثار لم يئن بعد، أما الأمر الأول فغير محتمل حسب رأينا، إذ لا يُعقل أن العرب في مكة ويثرب لم يكونوا يستعملون الكتابة في عصر ظهور الإسلام، ولدينا روايات تاريخية يقينية عن وجود كُتّاب كانوا قد مارسوا فن الكتابة في ذلك العهد، لذلك يحتمل أن تكون هناك بعض النقوش على الأحجار والصخور أو كتابات على الرق لم تكشف بعد، والمستقبل كفيل بحل أحد هذين الاحتمالين".[22]

أشير هنا إلى أن "أكثر الكتابات الثمودية هي من جمع:(هوبر Huber)، وقد نقل عدداً كبيراً منها، و(أوتينك Euting)، و (Jaussen-Savinag) و (دوتي Doughty)، وقد عمل غيرهم على معالجتها وشرحها وتفسيرها، من أمثال: (انو ليتمن EnnoLittmann)، و(هوبرت كريمه Hubert Grimme)، و (وينت Winnett)، و (هاردنك) وآخرين .

ولا تعني تسمية الكتابات المذكورة بالكتابات الثمودية أنها كلها كانت من كتابات قوم ثمود، أو أن هذه اللهجة التي كتبت بها هي لهجة ثمود حقاً. فالتسمية هي تسمية اصطلاحية حديثة، أطلقها العلماء عليها لورود اسم قوم ثمود في بعضها، وقد أطلقوا عليها تلك التسمية لتمييزها عن غيرها، ولتفريقها عن اللهجات العربية الجاهلية الأُخرى، فهي إذن مجرد اصطلاح قصد به هذه الكتابات المكتوبة بلهجة مماثلة للهجة الكتابات التي ورد فيها اسم ثمود، وبالخط الذي كتبت به هذه الكتابات نفسه.

والكتابات الثمودية قصيرة، وهي في كثير من الأحوال مجرد أسماء، دُوِّنت للذكرى، فتراها على هذا النحو:

(لوهب بن رفد) أو (لشهرى بن رفد) أو (لغصن بن اسله) أو (لذاب) (لذئب) ، و(ذءب) اسم رجل...[23]

وأُذكِّر هنا بما مر بنا من أن هذه الكتابات والنقوش الثمودية لم تفدنا من حيث البحث اللغوي في قواعد نحو وصرف هذه اللهجة، إلا في حدود ضيقة جداً استعرض لها عند الكلام على اللهجة الثمودية وقواعدها من نحو وصرف – إن شاء الله –.

القلم الثمودي:

يكاد الباحثون أن يجمعوا على أنّ "القلم الثمودي مشتق من القلم المسند اليمني، ويحتمل أنه جاء إليهم عن طريق قبائل معين التي استوطنت في الحجاز والتي نقلت حضارة اليمن وعمارتها وعبادة الأوثان اليمنية إلى شمال بلاد العرب".[24]

وهذه بعض النقوش الثمودية لنتمكن عبرها الوقوف على لغة وأسلوب الكتابة المسماة بالثمودية:

(1) ق ن ص ا س د : قُنص أسد أو قَنص أسداً

(2) هـ ع ل م ل ب ب ي: هعلم لبى أي : هذا العلم وضعه رجل اسمه بى.

جدير بالذكر أن حرف (هـ) الذي جاء في صدر الكلمة (علم) في النقش الثاني هو أداة التعريف (أل)؛ لأن أصحاب النقوش الثمودية لم يكونوا يستعملون (أل) للتعريف كما هي الحال في العربية، ولكن استعملوا حرف الهاء للتعريف كما هي الحال في العبرية،حيث قال (هجمل) أي (الجمل) و(هبيت) أي (البيت) وهكذا....[25]

ومما يُلاحظ في الخط الثمودي أنه خالٍ من الشكل ومن التشديد، ومن الإشباع؛ ولهذا يلاقي قارئه صعوبات كثيرة، فكلمة مثل: (بت) يمكن أن تقرأ على وجوه متعددة، فقد تقرأ مثلاً: (بات) فعلاً ماضياً، و(بيت) اسماً، وكلمة (زد) قد تقرأ: (زيد) أو (زاد)،[26] فالطابع الغالب على القلم الثمودي التحرر من أصوات المد واللين. لكننا في الوقت نفسه نجد أن بعض الكتابات قد استعملت حروف العلة (الألف والواو والياء) أحياناً، وذلك لسد النقص الحاصل من عدم وجود حركات الإعراب، كما في كلمة (نُور) و(اموت)، فقامت الواو بأداء واجب الضمة الطويلة من بداية الكلمة. وكذلك نجد كلمة (دين) و(عظيم)، حيث قامت الياء بأداء رمز الكسرة الطويلة،[27]ومن المعروف لدى الباحثين في هذا المضمار

أن الخط المسند يستعمل الخطوط العمودية للفصل بين الكلمات، فهل الحال في الخط الثمودي كذلك؟

في الحقيقة أن القلم الثمودي لم يتقيد باستعمال الخطوط العمودية للفصل بين الكلمات؛ ولهذا نجد الحروف والكلمات متصلة بعضها ببعض في كثير من الكتابات، لا يفصل بينها فاصل، وقلما نجدها تَستعمل بعض العلامات مثل النقط أو الخطوط الصغيرة لتحديد الجمل، كذلك فإن الخط الثمودي قد أطلق لنفسه العنان في اتباع الجهة التي يسير عليها الخط، فنراه تارةً يسير من اليمين إلى الشمال، وباتجاه أُفقي، وتارة يتجه من الشمال إلى اليمين، وأحياناً من أعلى إلى أسفل، ومن أسفل إلى أعلى في أحايين أُخرى، كما نراه – أحياناً– يتخذ شكل قوس أو أشكالاً أُخرى، كأن يمزج بين هذه الطرق بحسب رغبة الكاتب وشكل المادة التي يكتب عليها، وعلى قارئ النص أن يتنبه إلى هذه الاتجاهات لمعرفة أول الكلام من آخره.[28]

وخلاصة القول إن القلم الثمودي مَرَّ بأدوارٍ تحرّر فيها شيئاً فشيئاً من أشكال حروف المسند، لكنها مع ذلك لم تتمكن من أن تباعد بين المسند وبين حروف القلم الثمودي بوجه عام، فالقارئ للخط الثمودي لا يجد نفسه بصورة عامة غريباً عن الخط المسند، وهو إذا ما أبصر القلمين أدرك وجه الشبه ووحدة الأصل بين القلمين، فيحكم بأنّ القلم الثمودي من ذلك القلم العربي القديم.[29]

لهجة ثمود وقواعدها:

عثر السواح والمستشرقون على زهاء ألفين أو يزيد من الكتابات والنقوش الثمودية في حائل بنجد وفي تبوك بمنطقة تيماء ومدائن صالح في الغالب، وفي الطائف والساحل الشرقي للبحر الأحمر في أعالي الحجاز، وفي طور سيناء، وفي مصر في وادي الحمامات، وفي منطقة الصفاة في بلاد الشام، أي في بقاع واسعة من الأرض، وفي هذا الانتشار الواسع دلالة

على وصول قوم ثمود إليها، ووجودهم فيها، لأغراض مختلفة، ومنها التجارة، فهم من العرب المعروفين، وورود اسمهم في كتابات الملوك الآشوريين، ومؤلفات الإغريق واللاتين، دليل على وصول خبرهم إلى الروم والرومان.[30]

وعبر ما عثر عليه من هاتيك النقوش والكتابات في المناطق المشار إليها آنفاً، سنحاول معرفة بعض قواعد اللهجة الثمودية، لنرى ما فيها من تقارب من بقية اللهجات العربية البائدة أو الباقية أو تباعد عنها، لنخرج في نهاية المطاف إلى نتيجة "أن هذه اللهجة التي نسميها لهجة ثمود هي لهجة قريبة من لهجة القرآن الكريم، وأنها من مجموعة اللهجات العربية الشمالية، وأن المتتبع لها كلما تعمق فيها وكثر مرانه بقراءة نصوصها، ازداد يقيناً أنّ لغة أصحاب هذه الكتابات لم تكن بعيدة عن لهجة القرآن الكريم".[31] وهذه جملة من قواعد اللهجة الثمودية ونحوها وصرفها من خلال ما عثر عليه من كتابات ونقوش تتصل بالثموديين.

الضمائر:

اشتملت اللهجة الثمودية على ضمير المتكلم وضمير المخاطب وضمير الغائب. وهي فيها على نوعين: ضمائر منفصلة وضمائر متصلة، فمن المنفصلة (ان) أي: (أنا) ضمير المتكلم، كما في هذا النقش (ود معن وان رهن) بمعنى (ودَ معنا وأنا رهن) و(وَدّ) هو اسم صنم من أصنامهم،[32]كما أنه يدل على التحية والسلام.[33]

وأما (ات) فهو ضمير المخاطب يقابل (أنت) في عربيتنا. والثمودية في استعمال هذا الضمير قريبة من الآرامية والعبرانية التي تستعمل (atta) للضمير المخاطب، وقريبة من البابلية الآشورية كذلك، مثاله في الثمودية: (هلهى ات م تمعزز ذ) بمعنى: (يا إلهي أنت، تيم عزيز هذا) أو (يا إلهي أنت، تيم عزيز هنا).[34]

ومن الضمائر المتصلة ال (ه) وهو في مقام (هو)، ويستخدم للتعبير عن الغائب، مثاله (دنه قبور صنعه كعبوبر حرثت...) ومعناه (هذا القبر صنعه كعب بن حارثه...). وقد تُحذف ياء الضمير كما في هذا النص:(بِ شرت وشتلم) بمعنى :(بي شر وانشلام)، و(شتلم) من أصل (شلم) بمعنى شدة وضيق.[35]

2-الفعـل:

الكتابات والنقوش الثمودية أكثرها أسماء، لذلك قلما نجد فيها أفعالاً، لذا فلا يستطيع الباحث أن يتوسع في موضوع الفعل وأزمانه وأبنيته ابتداءً. ومن الأفعال الواردة في كتابات الثموديين (اخذ) بمعنى (أَخَذَ) الماضي كما في النقش الآتي: (لعذ بن ملكت اخذ)، أي: (لعوذ بن ملكة أخذ)، وفعل (بت) بمعنى (بات) كما في هذا النص: (لوسط بن هرب بن دخلت بت) أي: (لوسط بن هرب دخلت. بات).[36]

وقد لاحظ الباحثون أن الكتابات الثمودية تميل إلى تقديم الفاعل على الفعل، وجعل الجمل جملاً اسمية، وذلك كما تقدم في المثالين السابقين، غير أنّ (أخذ) في المثال الأول فعل متعد يحتاج إلى مفعول به، فأين المفعول به؟ قد فسر بعضهم لفظة (اخذ) بمعنى: أُخِذَ على حين غرة، أو قُتل، كما فسرها بعضهم بمعنى: (أُخِذَ) أي: بصيغة المبني للمجهول، ولا يُستبعد أن تكون (اخذ) اسم علم هو (أخيذ) أو (أخاذ) والواو التي قبل (أخذ)هي واو المعية. وإذا صح هذا الرأي كان معنى النص (لعوذ بن ملكت وأخيذ).[37]

أما الفعل المضارع في الثمودية فيعتقد الباحثون بدخول لام التعليل عليه، وذلك في مثل: (هن لمت) بمعنى (هون لأموت) أي: هوِّن عليّ (أرحني لأمت).[38]

ووجد الباحثون فعل الأمر في الكتابات الثمودية "ومعنى هذا أن تلك الكتابات قد اشتملت على الفعل بأقسامه الثلاثة، على حين لم نجد في الكتابات العربية الجنوبية إلا الماضي والمضارع. ويرد فعل الأمر على الأكثر في مخاطبة الآلهة كما في هذا النص: "(عل رضو هضبا)، ومعناه: (أعل رضو.الملجأ)، وتعني (عل) معنى (أُعْلُ)".[39]

ويلاحظ في باب الفعل في اللهجة الثمودية –كما يرى الباحثون – أن الفعل يطابق فاعله من حيث التذكير والتأنيث، فإن كان الفاعل مؤنثاً لحقته علامة التأنيث وهي تاء التأنيث، وإن كان مذكَّراً جُرِّد منها، مثال ذلك: (لصلمرا برات)، أي(لصلمرا برئت). فصاحب الكتابة امرأة اسمها (صلمرا) أو (صمرا)، وقد أصيبت فيما يبدو بمرض ثم برئت فدونت هذه الكتابة لهذه المناسبة.[40]

3–الاســم:

مر بنا عند الكلام على الكتابات الثمودية أنها مؤلفة – في الغالب – من أسماء أشخاص وقبائل؛ لذلك فإن حيّز الاسم فيها أكبر من الفعل، وفي هذه الأسماء عدد كبير من الأسماء التي كان يتسمى بها العرب قديماً وحديثاً مثل: عمر وعلي وبكر وعاصم وقيس وتغلب وفزارة وخالد والحكم وأُمية، فضلا عن أسماء بعض الحيوانات التي تسمّى بها أشخاص مثل: ضب وقنفذ وعنكبوت وعقرب ودب.[41]

الأسماء في الثمودية على قسمين:

1– أسماء بسيطة: وهي المجردة من الزيادة في أولها وآخرها ما عدا تاء التأنيث، نحو : (زد) أي: (زيد) و (اس) أي: (أوس).

2– أسماء مركبة: مثل: (زد غث) أي: (زيد غوث)، و(سعدله) أي: (سعد لاه) بمعنى: (سعد الله).[42]

كما أن الاسم في الثمودية ينقسم إلى:

1– جامد: ما لم يؤخذ من غيره ك (وَدّ).

2– مشتق: ما أُخذ من غيره من أصول الاشتقاق، نحو : (سلم) بمعنى:(سالم) أو (سليم)، و (شمت) بمعنى (شامت)، و (سرر) بمعنى:(سرور).

والاسم من حيث الجنس في الثمودية يخضع للتذكير والتأنيث، فمن الأسماء المذكرة الواردة في كتاباتهم: سعد، أوس، صلم بمعنى: صنم.

ومن الأسماء المؤنثة نجد: (لقيض) على زنة (فُعَيْل)، أو (لَقض) كما قرأها بعض المستشرقين، أي على وزن (فَعَل)، كما في هذا النص:(ذن لقيض بنت عبد منت)، أي (هذه لقيض بنت عبد مناة).

ويُلاحظ أن كثيراً من أسماء الرجال في الكتابة الثمودية منتهية بالتاء، مثل: خلصت (خلصة) أو (خالصة)، وشكت (وشكة).

أما من حيث العدد فالاسم في الثمودية إما مفرد أو مثنى أو جمع، ويُعبّر بحرف الـ(ى) عن المثنى كما في (عُلى) بمعنى: (أُعتلاّ)، ويُعبّر بالألف وكذلك بالنون عن الجمع.[43]

أداة التعريــف:

"وتشارك الثمودية اللهجة اللحيانية في استعمال الـ (هـ) أداة للتعريف، وهي تشدد الحرف الصامت الذي تدخل عليه كما في العبرانية، مثال ذلك: (همّلك) بمعنى: (الملك)، و(هجّمل) بمعنى: (الجمل) ، و (هبّيت) بمعنى: (البيت)".[44]

أسماء الإشارة:

"ومن أسماء الإشارة (ذن) بمعنى: (هذا) كما في هذا المثال: (ذن لقض بنت عبد منت) أي: (هذا لقيض بنت عبد مناة)".[45]

"ويؤدي (ذِ) معنى (ذا) و (هذا) في عربيتنا".[46] وجملة (وذ ود) تعني (وهنا ودّ) و (هذا ود) و (ذا ود)، وتؤدي (ذت) معنى (ذلك)، أي الإشارة إلى الشيء البعيد كما في (وذت لحلم)، أي: (وذلك لحلم).[47]

الأسماء الموصولة:

"ومن الأسماء الموصولة (ذ) وتعني: الذي والذين، كما في هذا المثال: (اهل ذاتا)، أي: (الأهل الذين أتوا).

ومن الأسماء الموصولة (بن) بمعنى (مَنْ) أي: الذي، كما في المثال: (هرض اسعد بن دعي اقدش)، أي: (يا رضو أسعد من دعي الأقدس) أو (يا رضو اسعد الذي دعى الأقدس)".[48]

"و(ال) هي اسم موصول كذلك، وتؤدي معنى (الذي) كما في هذا المثال: (ال بذى صلم) أي: (الذي بهذا: صنم). و(بذي) حرف جر واسم إشارة، ويؤديان معنى: بهذا وبهذا المكان".[49]

4- حروف الجر:

"وحروف الجر في الثمودية هي: (لِ) وترد بكثرة في الكتابات للدلالة على الملكية والحيازة، مثل: (لخلصت بن حرمن)، أي: (لخلصة بن حرمان)".[50]

"والباء من حروف الجر كذلك، كما في هذا النص: (بلهي ودد) ، أي: (بالله ودّ)، ومعناها أيضاً: (بالله السلام) وقد ترجمها بعضهم بـ (السلام على الله).

ومن حروف الجر (ال) أي: (إلى)، و (عل) بمعنى: (على). و (لب) (لِبِ) (لِ) و (بِ) ويؤدي معنى (ل)، ولأجل كما في هذا النص (لب بشر)، أي: (لباثر) و(لأجل باثر)".[51]

حروف العطف:

"وحروف العطف في الثمودية، هي حرف: ال (و) ، ويرد كثيراً بين الأسماء لعطف المتأخر منها على المتقدم، كما يرد في الابتداء كما في: (واسد بن سعدت)، أي: (وأسد بن سعدة)، ومن أمثلة عطف الواو ما جاء في هذا النص: (لثريت بن عبد بن همل وثريت خطط)، أي: (لثريت بن عبد همل، وثريت خط)".[52]

5-النداء:

"ويكون النداء في الثمودية ب (ه) ، ولعله (ها)، وهو بمعنى: (يا) النداء في عربيتنا. ويرد كثيراً مع اسم الآلهة كما في (هر رضو سعد لهم) أي: (يا رضو سعد لهم)، وقرأ بعضهم

النص على هذا الشكل: (يا رضو ساعد لهم) على اعتبار أن لفظة (سعد) تعني (ساعد) أي: فعل أمر للمستقبل".[53]

"ومن أمثلة المنادى ما ورد في هذا النص: (فهد شر غرت وخلصت)، أي: (فيا ذا الشرى العفو والخلاص)"،[54] وفي غيرها من النصوص.

هذه مجمل القواعد التي قد تستفاد من النقوش والكتابات المنسوبة إلى ثمود، من أجل تثبيت سمات وخصائص لهجتها، ومقدار قربها أو بعدها عن عربيتنا الباقية أو أخواتها من اللهجات البائدة.

الخاتمة

فقد آن لي أن أقول كلمتي في هذا البحث بعد ما تقدم ، فأقول مستعيناً بالله العظيم:

إنّ كل ما سبق من كلام على اللهجة الثمودية عبر ما زُعم أنه من نقوشهم وكتاباتهم وآثارهم الباقية، ما هو إلا ضرب من التخمين والوهم والظن والرجم بالغيب الذي لا ينبني عليه علم، ولا تقوم به حجة ، والعلم – كما هو معلوم – يقين.

ولا نستطيع أن نجزم بيقين مقطوع به غير مشكوك فيه، أن كل ما بلغنا عنهم إنما هو لقبيلة ثمود أو غيرها، فقد يكون لعابري سبيل، أو أقوام أُخرى، ونحو ذلك مما قد يرد عليه الاحتمال، ويبطل به الاستدلال، فعلينا أولاً أن نثبت أنّ هذه الآثار والنقوش عائدة إليهم، ثم نبدأ بدراسة ما يترتب على ذلك، على قاعدة (أثبت العرش ثم انقش)، وقد تقدّم في ثنيات كلامي على كتابات ثمود قول الحق تبارك وتعالى: **"وأنه أهلك عاداً الأُولى ۝وثمود فما أبقى"** النجم (50-51)، وقوله سبحانه : **"فأما ثمود فأُهلكوا بالطاغية"** إلى قوله : **"فهل ترى لهم من باقية"**سورة الحاقة (5) و (8).

كل ذلك لأصل في نهاية هذا الأمر يقود إلى نتيجة مهمة، وهي: أنه لا يمكن أن نعتمد في دراسة تاريخ العربية ومراحل تطورها في بحث لغويّ جادّ إلا على القرآن الكريم

الذي **"لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد"** سورة فصلت (42)، بوصفه المدَوَّنة الوحيدة الأُولى التي لا يمكننا إلا الوثوق بها عقلاً وشرعاً، أما شرعاً فلأنه لا يسعنا إلا ذلك، وإلا لخرجنا من دائرة الإيمان والإسلام. وأما عقلاً فلعدم تسلل التحريف والتصحيف إلى هذا الكتاب، وذلك عبر حفظه وروايته من جيل إلى جيل يُصدِّق بعضهم بعضاً، ويستحيل تواطؤهم على الكذب، بطريق التواتر الذي هو أعلى وأرقى وأنقى طريق من طرق الرواية التي عرفتها البشرية في التثبت والقطع واليقين، هذا الحفظ والتواتر الذي تميزت به هذه الأمة الإسلامية، وخصيصة اختصها الله بها من بين سائر الأُمم.

1 سورة الأعراف، الآية 37-74.

2 سورة فصلت،الآية 17-18.

3 سورة النجم، الآية 50-51.

4 سورة الحاقة، الآية 4-8.

5 سورة هود، الآية 68؛ وانظر: ابن مجاهد، أبوبكر، أحمد بن موسى، **السبعة**، تحقيق: شوقي ضيف، (القاهرة: دار المعارف، ط2، د. ت)، ص337؛ والداني، أبوعمرو، **التيسير**، تحقيق: أوتوبرتزل، (بيروت:دار الكتاب العربي، ط2، 1404هـ-1984م)، ص 12؛ وإسماعيل بن خلف، أبو طاهر، **العنوانفي القراءات السبع**، تحقيق زهير زاهد وصاحبه، (بيروت: عالم الكتب، ط1، 1405هـ -1985م)، ص 108؛ وابن الجزري، **النشر في القراءات العشر**، مراجعة: علي محمد الضباع، (بيروت: دار الكتب العلمية، د. ت)،ج2، ص290 .

6 انظر: ابن خالويه، **الحجة في القراءات السبع**، تحقيق: عبد العال سالم مكرم، (بيروت: دار الشروق، ط2، 1977م)، ص 188؛وابن زنجلة، أبو زرعة، **حجة القراءات**، تحقيق: سعيد الأفغاني، (بيروت: مؤسسة الرسالة، ط4، 1984م)، ص345؛ وابن الأنباري، أبو البركات، **البيان في غريب إعراب القرآن**، تحقيق: طه عبد الحميد طه، (القاهرة: الهيئة المصرية للكتاب، 1980م)، ج2، ص20.

7 القيسي، مكي ابن أبي طالب، **الكشف عن وجوه القراءات السبع وعللها وحججها**، تحقيق: محيي الدين رمضان، (بيروت:مؤسسة الرسالة، ط3، 1984م)، ج1، ص533 .

8 ابن خالويه، **الحجة في القراءات السبع**، ص 188؛ وابن منظور، **لسان العرب**، (بيروت: دار صادر، د. ت)، مادة (ثمد)؛ والفيروزآبادي، **القاموس المحيط**، (بيروت: مؤسسة الرسالة، ط2، 1987م)، مادة (ثمد).

9 النحاس، أبو جعفر، أحمد بن محمد، **إعراب القرآن**، تحقيق: زهير غازي زاهد، (بغداد: مطبعة العاني، د. ت)،ج2، ص97-98؛وسيبويه، أبو بشر، عثمان بن قنبر، **الكتاب**، تحقيق عبد السلام هارون، (بيروت: عالم الكتب، ط3، 1983م)،ج3، ص249-250؛ والأعلم السنتمري، **تحصيل عين الذهب من جوهر الأدب**، تحقيق: زهير عبد المحسن سلطان، (بغداد: دار الشؤون الثقافية، ط1، 1992م)، ص455 .

10 سورة العنكبوت، الآية 38.

11 سورة الفجر، الآية 9.

12علي،جواد، **المفصل في تاريخ قبل الاسلام**، (بيروت: ط1، 1968م)، ج1، ص323-324 .

13السابق نفسه، ج1، ص324.

14السابق نفسه، ج1، ص325. بتصرف يسير.

15السابق نفسه، ج1، ص326.

16انظر: علي، جواد، **المفصل في تاريخ قبل الاسلام** ج1، ص330؛ ولفنسون، إسرائيل، **تاريخ اللغات السامية**، (بيروت: دار القلم، ط1، 1980م)، ص 177-181 .

17 ولفنسون، إسرائيل، **تاريخ اللغات السامية**، ص 181.

18عبد التواب، رمضان، **فصول في فقه العربية**، (القاهرة: مكتبة الخانجي، ط3، 1987م)، ص 53-54 بتصرف.

19أنيس، إبراهيم، **في اللهجات العربية**، (القاهرة: 1965م)، ص 35 .

20 ولفنسون، **تاريخ اللغات السامية**، ص 188.

21السابق نفسه، ص 189.

22السابق نفسه، ص 194.

23 علي،جواد، **تاريخ العرب قبل الإسلام**، (بغداد: المجمع العلمي، 1957م)، ج7، ص189-190.

24 ولفنسون، **تاريخ اللغات السامية**، ص 180؛ وغويدي، اغناطيوس، **المختصر في علم اللغة العربية الجنوبية القديمة**، (القاهرة: 1930م)، ص2.

25 المرجع السابق.

26 انظر: علي،جواد، **تاريخ العرب قبل الإسلام**، ج7،ص191.

27 انظر:السابق نفسه،**ج7**، ص191.

28 انظر: علي، جواد، **تاريخ العرب قبل الإسلام**، ج7،ص192.

29 المرجع السابق.

30 المرجع السابق.

31السابق نفسه، **ج7**، ص197.
32 ورد ذكره في الآية (23) من سورة نوح.
33انظر: ولفنسون، **تاريخ اللغات السامية**، ص 181.
34 علي، جواد، **تاريخ العرب قبل الإسلام**، ج7، ص198 بتصرف.
35السابق نفسه،ج7، ص202.
36انظر: علي، جواد، **تاريخ العرب قبل الإسلام**، ج7، ص203.
37انظر: السابق نفسه، **ج7**، ص207.
38انظر: السابق نفسه، **ج7**، ص207.
39انظر:السابق نفسه، ج7، ص207-208.
40انظر:السابق نفسه، ج7، ص209-210.
41انظر:السابق نفسه، ج7، ص210.
42انظر:السابق نفسه، ج7، ص210-211.
43انظر: السابق نفسه، ج7، ص211-212.
44السابق نفسه، ج7، ص212؛ وولفنسون، **تاريخ اللغات السامية**، ص180.
45السابق نفسه، ج7، ص213؛ ولفنسون، **تاريخ اللغات السامية**، ص 178.
46 علي، جواد، **تاريخ العرب قبل الإسلام** ، ج7، ص214.
47السابق نفسه، ج7، ص214-215.
48السابق نفسه، ج7، ص215.
49السابق نفسه.
50السابق نفسه، ج7، ص215-216.
51السابق نفسه، ج7، ص216؛ وولفنسون، **تاريخ اللغات السامية**، ص182 .
52السابق نفسه، ج7، ص216-217.
53 علي، جواد، **تاريخ العرب قبل الإسلام**ج7، ص217؛ وولفنسون، **تاريخ اللغات السامية**، ص182.
54السابق نفسه .

المصادر والمراجع

١. القرآن الكريم.

٢. إبراهيم أنيس (دكتور)، **في اللهجات العربية**، القاهرة، ١٩٦٥م .

٣. إسرائيل ولفنسون، **تاريخ اللغات السامية**، دار القلم – بيروت، ط١، ١٩٨٠م .

٤. إسماعيل بن خلف، أبو طاهر، **العنوان في القراءات السبع**، تحقيق د.زهير زاهد وصاحبه، عالم الكتب – بيروت، ط١، ١٤٠٥هـ =١٩٨٥م .

٥. الأعلم السنتمري، **تحصيل عين الذهب من جوهر الأدب**، تحقيق د.زهير عبد المحسن سلطان، دار الشؤون الثقافية – بغداد، ط١، ١٩٩٢م.

٦. اغناطيوس غويدي، **المختصر في علم اللغة العربية الجنوبية القديمة**، ط القاهرة، ١٩٣٠م .

٧. ابن الأنباري، أبو البركات، **البيان في غريب إعراب القرآن**، تحقيق د.طه عبد الحميد طه، ط الهيئة المصرية للكتاب – القاهرة، ١٤٠٠هـ = ١٩٨٠م .

٨. ابن الجزري، **النشر في القراءات العشر**، مراجعة علي محمد الضباع، دار الكتب العلمية – بيروت، بلا تاريخ.

٩. جواد علي (دكتور)، **تاريخ العرب قبل الإسلام**، ط المجمع العلمي – بغداد، ١٩٥٧م.

١٠. جواد علي (دكتور)، **المفصل في تاريخ قبل الاسلام**، بيروت، ط١، ١٩٦٨م .

١١. ابن خالويه، **الحجة في القراءات السبع**، تحقيق د.عبد العال سالم مكرم، دار الشروق – بيروت، ط٢، ١٣٩٧هـ =١٩٧٧م .

١٢. الداني، أبوعمرو، **التيسير في القراءات السبع**، تحقيق أوتوبرتزل، دار الكتاب العربي – بيروت، ط٢، ١٤٠٤هـ =١٩٨٤م .

١٣. رمضان عبد التواب (دكتور)، **فصول في فقه العربية**، مكتبة الخانجي – القاهرة، ط٣، ١٤٠٨هـ =١٩٨٧م .

١٤. ابن زنجلة، أبو زرعة، **حجة القراءات**، تحقيق سعيد الأفغاني، مؤسسة الرسالة – بيروت، ط٤، ١٤٠٤هـ =١٩٨٤م.

١٥. سيبويه، أبو بشر، عثمان بن قنبر، **الكتاب**، تحقيق عبد السلام هارون، عالم الكتب – بيروت، ط٣، ١٤٠٣هـ =١٩٨٣م .

١٦. الفيروزأبادي، **القاموس المحيط**، مؤسسة الرسالة – بيروت، ط٢، ١٤٠٧هـ =١٩٨٧م .

١٧. ابن مجاهد، أبوبكر، أحمد بن موسى، **السبعة**، تحقيق د.شوقي ضيف، دار المعارف- القاهرة، ط٢، بلا تاريخ .

١٨. مكي ابن أبي طالب القيسي، **الكشف عن وجوه القراءات السبع وعللها وحججها**، تحقيق د.محيي الدين رمضان، مؤسسة الرسالة – بيروت، ط٣،١٤٠٤هـ =١٩٨٤م .

١٩. ابن منظور، **لسان العرب**، ط دار صادر – بيروت، بلا تاريخ.

٢٠. النحاس، أبو جعفر، أحمد بن محمد، **إعراب القرآن**، تحقيق د.زهير غازي زاهد، ط مطبعة العاني – بغـــداد، بـــلا تاريخ.